Bible Study

The First Epistle of St. Paul to the Thessalonians

رسالة معلمنا بولس الرسول الأولي إلي أهل تسالونيكي

Fr. Jacob Nadian
St. Bishoy Coptic Orthodox Church

الرسالة الأولي إلى أهل تسالونيكي

الاصحاح الأول: نمو الكنيسة في تسالونيكي

- بدأ القديس بولس الرسالة بإبراز الجوانب الطيبة لتشجيع أهل تسالونيكي، فلم يتحدث عن المشاكل أو الضيقات مهما تفاقمت أو بلغت خطورتها إلاَّ بعد أن يشجع، فاتحًا باب الرجاء أمام الجميع.
- وحيث أن كنيسة تسالونيكي كانت تئن من الضيق، فهو يعلن في وضوح عن نموها في حياتها الإيمانية العملية، وشهادتها للسيد المسيح أمام كنائس أخرى.
- ولهذا فهو يذكر اسمه **"بولس"** في مقدمة الرسالة دون الإشارة إلى لقبه الرسولي، ليطمئنهم إنه يتحدث معهم بروح الصداقة والأبوة الروحية.
- ولعله لذات السبب يضم إلى اسمه سلوانس وتيموثاوس كأنهما شريكان معه في كتابة الرسالة، مع أنه هو الكاتب لها وحده.
- لقد أراد في تواضع أن يؤكد للمؤمنين أنه ليس وحده يحمل إليهم مشاعر الحب والحنو وسط ضيقتهم، وإنما يشاركه في ذلك كل من اشترك في خدمتهم.

"بولس وسلوانس وتيموثاوس إلى كنيسة تسالونيكي، في الله الآب والرب يسوع المسيح. نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع" [1]

- في حديثه إلى كنيسة تسالونيكي، التي ضمت أعضاء من اليهود والأمم، يؤكد لهم أن الكل صار كنيسة واحدة، بدخولها في "الرب يسوع المسيح" كجسده الواحد المقدس، لتجد لها موضعًا في الله الآب، لأنه حيث يوجد الابن تكون معه كنيسته في الأحضان الأبوية. وكما يقول السيد المسيح: "حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضًا... ليس أحد يأتي إلى الآب إلاَّ بي" (يوحنا 14: 3، 6).
- يلقب القديس بولس الله "أبينا"، فالمؤمنون محتاجون في ضيقتهم إلى التمتع بأبوة الله الحانية، وإدراك اهتمامه بخلاصهم.
- ومن ناحية أخرى إذ يكتب في صلب رسالته عن أبوته هو لهم، أراد في المقدمة أن يؤكد أبوة الله نفسه التي هي مصدر كل أبوة روحية وجسدية.
- يطلب لهم النعمة والسلام؛ فإن السلام الحقيقي الداخلي لا يتحقق برفع الآلام التي تحل بنا، وإنما بتمتعنا بنعمة الله الخفية. ففي وسط الضيق يُحاصر الإنسان بأفكار مظلمة قادرة على تحطيم سلامه الداخلي، لكن نعمة الله تستطيع أن تَرفَع الفكر فوق الأحداث، وتسنده ضد كل هجوم فيمتلئ بسلامٍ إلهيٍ فائقٍ.

"نشكر الله كل حين من جهة جميعكم، ذاكرين إياكم في صلواتنا" [2]

- عندما يقابل الانسان مشاكل وهموم كثيرة يقدم الشكر لله ويرنم بقلبه، قائلاً: "عند كثرة همومي في داخلي، تعزياتك تلذذ نفسي" (مزمور 94: 19).
- وهذا ما فعله القديس بولس عندما رأي نجاح كنيسة تسالونيكي الحديثة، يقدم الشكر لله في كل حين بالرغم من الضيق الذي يحل بهم.
- كما أنه يصلي من أجلهم ليزدادوا نموًا. حقا إنه راعٍ حكيم لا تسحبه الآلام عن النظر إلى النفع الروحي للمتألمين.
- لهذا وإن كان يئن معهم مشاركًا إياهم آلامهم، لكنه في نفس الوقت يقدم الشكر لله من أجل البركات الروحية التي ينعمون بها وسط ضيقتهم.
- بهذه الكلمات أيضًا يرفع القديس بولس شعبه فوق الآلام الخارجية، الأمر الذي يؤكد فيه أن سرّ كل بركة روحية ونجاح في حياتهم هو الله نفسه، رافعًا إياهم نحو التواضع.
- وأخيرًا فإنه إذ يذكرهم في صلواته، يعلن صدق حبه لهم.

"متذكرين بلا انقطاع (1) عمل إيمانكم، (2) وتعب محبتكم، (3) وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح أمام الله وأبينا" [3]

- هنا يحول القديس بولس أنظار شعبه عن التفكير في الأحداث الجارية إلى التأمل في عمل نعمة الله داخلهم خلال الإيمان والرجاء والمحبة (1 تسالونيكي 1: 3، 1 تسالونيكي 5: 8، 1 كورنثوس 13: 13، عبرانيين 6: 10 – 12، عبرانيين 10: 22 – 24).

- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ماذا يقصد بقوله "عمل إيمانكم؟" يعني من يؤمن يحتمل الكثير، فإن إيمان الإنسان يظهر خلال أعماله (يعقوب 2). لهذا بحق يُقال أن الإيمان ليس أمرًا مجردًا، وإنما يعلن خلال أعمالكم وثباتكم وغيرتكم... وما هو "تعب المحبة؟" إنه حينما تثور آلاف الأمور لتسحبنا بعيدًا عن المحبة، فنقف نحن أمام جميعها، أفلا يحسب هذا تعبًا؟]

- أخيرًا إذ لم يتوقف الضيق الذي حلَّ بالكنيسة منذ بدء انطلاقها، بل استمر حتى بعد ترك الرسل المدينة، واجهت الكنيسة الناشئة حديثًا الضيق بصبر من أجل رجائها في الملكوت، وانتظارها لعريسها الحقيقي ربنا يسوع، لهذا يكمل: وصبر رجائكم ربنا يسوع المسيح، أي ربنا يسوع المسيح هو رجاؤنا.

"عالمين أيها الإخوة، المحبوبون من الله، اختياركم" [4]

- هنا يؤكد سرّ نجاح مؤمني تسالونيكي وتمتعهم بالإيمان الحي والمحبة والرجاء، ألا وهو اختيار الله لهم كأولاد له "ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم" (يوحنا 15: 16)، "لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين. والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً والذين دعاهم فهؤلاء برهم أيضاً والذين برهم فهؤلاء مجدهم أيضاً" (رومية 8: 29 – 30). وكان حريصًا أيضًا لئلا يسقطوا في الكبرياء بسبب صبرهم على التجارب، فكان يوجه أنظارهم نحو الله الذي أحبهم واختارهم ولا يزال يعمل فيهم حتى يدخل بهم إلى أمجاده "واثقاً بهذا عينه أن الذي ابتدأ فيكم عملاً صالحاً يكمل إلى يوم يسوع المسيح" (فيلبي 1: 6).

- هنا أيضاً يكشف عن سبب حبه لهم وكأنه يقول إن كان الله يحبكم وقد اختاركم أولادًا له، فهل أكف أنا عن العمل ليلاً ونهارًا من أجل خدمتكم لتحقيق غاية الله فيكم؟ أي إنه لا يعمل في كرم بشري لحساب الناس، لكنه يخدم البشرية خليقة الله المحبوبة لديه والتي يشتهي الله خلاصها والدخول بها إلى أمجاده الأبدية، فيعمل لحساب الله، ومن خلاله وبإمكانيات الله.

"إن إنجيلنا لم يصر لكم بالكلام فقط، بل بالقوة أيضًا، وبالروح القدس وبيقين شديد، كما تعرفون أي رجال كنا بينكم من أجلكم" [5]

- يؤكد القديس بولس هنا أن حب الله لهم واختيارهم من قِبله قدم له ثلاث إمكانيات للعمل بينهم: **"القوة، والروح القدس، واليقين الشديد"**. هذه الإمكانيات هي سرّ نجاحه.
- حب الله للمؤمنين واختياره لهم قد **سلحاه بقوة إنجيل الخلاص**، وقدما له **روح الله القدوس** لكي يعمل فيه للخدمة والكرازة. لقد دخل إليهم **بالروح القدس**، الذي وحده يقدر أن يعلن محبة الآب لنا المتجسدة في تقديم ابنه فدية عنا. حقًا إن الإنجيل هو قوة الكارز في تحقيق رسالته، لكن لا يقدر الكارز أن يعمل إلاَّ **بالروح القدس** الذي يجتذب النفوس **بقوةٍ** إلى دائرة الصليب، وينطلق بها إلى المصالحة مع الله في ابنه، ويدخل بها إلى الحياة الجديدة **"بيقين شديد"**، مطمئنًا أن خلاص البشر يشتهيه الله نفسه ويعمل على تحقيقه.
- قوله **"أي رجال كنا بينكم من أجلكم"** هو تعبير ينطق به من يظهر غيرة عظيمة ونشاطًا زائدًا. إننا مستعدون أن نقدم حياتنا من أجلكم، ومع هذا فالشكر واجب لكم وليس لنا، لأنكم مختارون من الله.

"وأنتم صرتم متمثلين بنا وبالرب، إذ قبلتم الكلمة في ضيقٍ كثيرٍ بفرح الروح القدس" [6]

- ما يفرح قلب القديس بولس هو امتثالهم به، بل وبالرب نفسه في احتمالهم الألم بفرح. ولهذا يمدحهم قائلاً: **"قبلتم الكلمة في ضيق كثير بفرح الروح القدس"**، فقد قبلوها ليس في ضيقٍ فحسب وإنما في ضيق كثير، كما شرح لنا سفر أعمال الرسل عن كيف ثار الاضطهاد ضدهم (أعمال 17: 5 – 8)، حيث هيج (الأشرار) كل حكام المدينة ضدهم، وأثاروا المدينة عليهم. ولم يقف الأمر عند تألمهم وإيمانهم مع حزنهم وإنما فرحوا، الأمر الذي فعله الرسل، إذ قيل عنهم أنهم (ذهبوا) **"فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه" (أعمال 5: 41)**.
- ولكن كيف كانوا متمثلين بالرب؟ لأنه احتمل آلامًا كثيرة بفرحٍ، متقدمًا إليها بإرادته، فمن أجلنا أخلى ذاته، وإذ كان الوقت يقترب لكي يُبصق عليه ويُضرب ويُصلب، كان يفرح باحتماله هذه الأمور، قائلاً للآب: **"مجدني أنت ايها الآب ... بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يوحنا 17: 5)**.

"حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون في مكدونية وفي آخائية" [7]

- لقد آمنت مكدونية بالسيد المسيح قبل تسالونيكي، لكن تسالونيكي صارت مثالاً وقدوة لمكدونية. لقد صارت كمعلمة ليس لغير مؤمنين بل لمؤمنين سبقوهم في الإيمان.
- في وقت قصير قبلت تسالونيكي الإيمان وصارت مثلاً حيًا ليس فقط لمكدونية التي في الشمال والتي تُعتبر تسالونيكي من أهم مدنها، وإنما أيضًا لآخائية في الجنوب. وكأن أثرها قد امتد شمالاً وجنوبًا.
- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [ليته لا ييأس أحد قط حتى وإن كان قد أضاع زمنًا طويلاً دون أن يفعل شيئًا، فإنه يستطيع في وقت قصير جدًا أن يحقق الكثير مما لم يسبق له عمله في الماضي. إن كان الذين لم يكونوا قبلاً مؤمنين قد صاروا هكذا مشرقين منذ بداية إيمانهم، فكم بالحري يمكن للذين كانوا مؤمنين من قبل أن يفعلوا هكذا (أي منذ ميلادهم)؟]

"لأنه من قِبَلِكُمْ قد أذيعت كلمة الرب، ليس في مكدونية وآخائية فقط، بل في كل مكانٍ أيضًا قد ذاع إيمانكم بالله، حتى ليس لنا حاجة أن نتكلم شيئًا" [8]

- **"قد أذيعت"** هو تعبير عن نوع من القوة الروحية لإيمانهم وحيويته، فقد سمع العالم بإيمانهم، كأنه قد أذيع للجميع، ولم تعد هناك حاجة إلى حديث القديس بولس عنه، إذ يقول: **"حتى ليس لنا حاجة أن نتكلم شيئًا"**.
- كانت حياتهم الإيمانية العملية تحمل شهادة داخلية، وكأنها بوق عالٍ يدوي لا في البلاد المحيطة بهم فحسب وإنما على مسافات متباعدة جدًا. وقد سُمع صوتهم **"في كل مكان"**. فالذين رأوهم في قوة حياتهم شهدوا لهم مبوقين في كل موضع، وكأنهم قاموا بالرسالة التي اشتهى القديس بولس أن يتممها.
- يقول القديس يوحنا الذهبي الفم: [كما أن الطِيب الزكي الرائحة لا يحتفظ برائحته الكامنة فيه، وإنما ينشرها إلى مسافات بعيدة، معطرًا الهواء بنسماته، فيتقبله الجيران، هكذا أيضًا مشاهير الناس وعظماؤهم لا يغلقون على فضائلهم في داخلهم، وإنما يربحون بسمعتهم الطيبة الكثيرين ويحولونهم إلى حياة أفضل. هذا هو ما حدث هنا... وكأنه يقول لهم: لقد أشبعتم جيرانكم بالتعليم وملأتم العالم بالدهشة!]

"لأنهم هم يخبرون عنا أي دخول كان لنا إليكم، وكيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحي الحقيقي. وتنتظروا ابنه من السماء الذي أقامه من الأموات، يسوع الذي ينقذنا من الغضب الآتي" [9 - 10]

- "لأنهم هم يخبرون عنا أي دخول كان لنا إليكم": هنا يريد أن يعلن لهم أن حياتهم الروحية المجيدة وسط الضيقات والآلام لم تذيع مجدهم الروحي فحسب وإنما أيضًا قدمت تطويبًا للقديس بولس نفسه، فصار الكل يتحدثون عن دخوله إليهم ومعه سيلا، وكيف خدما هناك وحولا هؤلاء الناس إلى الإيمان الحي بالله القادر أن يقيمهم من الموت إلى الحياة وينقذهم من الغضب الآتي على العالم.

- يرى القديس يوحنا الذهبي الفم أن هذا التعبير إنما يوضح دخول القديس بولس إليهم في وسط مخاطر وميتات كثيرة قبلها بفرح وها هم الآن يحملون المخاطر كما سبق فاحتملها هو ... أما سر احتمال الألم بفرح سواء بالنسبة له أو لهم فهو إيمانهم بالرب يسوع القائم من الأموات.

- ولذا فهو يوجه أنظارهم وهم وسط الضيق إلى الآب السماوي الذي أطاعه الابن نيابة عنا محتملاً الموت، فأقامه بالإرادة، أما الابن فقام بقوته وسلطانه كقوله: "لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها" (يوحنا 10: 18).